ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

حجاجيّة النّص الشّعري الحديث
"حورية العاشق" لعلي عبدالله خليفه أنموذجًا

د. علي أحمد عمران
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب المشارك .
رئيس قسم الإعلام والعلاقات العامة
العميد المشارك لكلية الآداب والعلوم
الجامعة الأهلية- مملكة البحرين

ملخص:
يطرح هذا البحث حجاجيّة النّص الشّعري ممثلًا في ديوان "حورية العاشق" في ثلاث وعشرين نصًّا شعريًّا حديثًا. ويحاول دراسة المؤشّرات اللّغويّة في تلك النّصوص الشّعرية التي تحمل بنيتها وظائف حجاجيّة، فتشتغل هذه الدّراسة على نظرية أوزفالد ديكرو وأنسكومبر الحجاجيّة الرّامية إلى بيان الوظائف الحجاجية للغة، وذلك وفق التّصنيف الذي وضعه لها. وأسماه بالرّوابط والعوامل الحجاجيّة، فمنها ما يظهر جليًا في النّصوص الشّعريّة والنثريّة كالرّوابط (حتى، بل ، لكن.....) ومنها ما هو مضمرٌ معنويٌّ، فيستنتج من خلال السّياق اللّغوي للنّص، وهو ما وُضِعَ تحت عنوان "آليات الحجاج"، ثم تأتي الرّوابط الحجاجية التي تنوّعت مابين روابط للتساوق والتعارض ثم للتعليل، ويليها العوامل الحجاجية وتلخص الخاتمة ما وصل إليه البحث من استنتاجات حول حجاجيّة النّص الشّعري الحديث في ديوان "حورية العاشق"

.الكلمات المفتاحية:
اللّغة، الحجاج، الشّعر، النّص، الوظيفة.

Résumé :
This research talks about the pilgrimage of a poem represented in the bureau of *The Lover's Glamorous* that consists of twenty-three modern poems. The paper focuses on the study of effective linguistics in those specific poetry texts which, in its structure, has functions of a pilgrimage. This study works on Ducrot's pilgrimage theory which aims at using the tools of a pilgrimage in linguistics, according to the category that was given to it; named as the pilgrimage's transitions and factors, in which some of them appear explicitly in both poetry and prose texts as conjunctions (until, but, however, nonetheless, etc.) and others implicitly, which is concluded from the context itself; that was called The Mechanisms of Pilgrimages. First comes the pilgrimage transitions, which goes from consistent transitions, then contradictions, then an explanation or analysis, followed by pilgrimage factors.
And the conclusion shows an example of the results of researching the credibility of the modern poem *The Lover's Glamorous*.
Keywords: pilgrimages, text, effective linguistics, tools of a pilgrimage's transitions, implicit, context, the mechanisms of pilgrimages, factors of a pilgrimage

.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

تمهيد:

اِتّكأ الشّعراء العرب المعاصرون على استثمار جملةٍ من الآليات في نصوصهم الشّعريّة بغية تحديث النّص الشّعري وإعطائه ألقًا جديدًا على مستوى البنية اللغوية، ولعل أهم الآليّات التي استغلّها شعراء الحداثة ما يُعرف بأدوات الإقناع والحجاج انطلاقًا من قناعتهم من الشّعر، وكيف أنّه يمكن أن يستغلّ في حلبات العشق ومحطات الغرام، مقارعاتٌ ومحاججاتٌ بين العاشق والمعشوق، ومن ثمة راحوا يستعيرون مقولات المنطق والعقل في أشعارهم.

ومن بين الشعراء الذين اشتغلوا بقضايا العشق وما يعانيه العاشق من مكابدات وألم للفراق وحزن دائم لمشاهد الحضور والغياب...، الشاعر " علي عبدالله خليفة" ذلك الشاعر الفذّ، والكاتب البحريني المتألق[1].

فكيف استعار الشاعر علي عبدالله خليفة أدوات الحجاج في شعره؟ وكيف تجلّت مظاهره على مستوى البنية الشعرية؟

إنّ هذا البحث يسعى إلى دراسة بعض المؤشّرات اللّغويّة التي تحمل في بنيتها وظائف حجاجّية، وذلك في النّصوص الشّعريّة في ديوان "حورية العاشق" لعلي عبدالله خليفة، وتشتغل هذه الدراسة على واحدة من أهم النظريات اللّغويّة الحديثة في الحجاج، إنّها نظرية "أوزفالد ديكرو" الحجاجية، والتي تسعى من خلالها إلى إثبات فكرة عامّة مفادها أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية. فهي ترمي إلى بيان الوظائف الحجاجية للغة، وذلك وفق التصنيف الذي وضعه لها. و أسماه بالروابط والعوامل الحجاجية، فمنها ما يظهر جليًّا في النّصوص الشّعرية و النثرية فالروابط (حتى ، بل ، لكن...) ومنها ما هو مضمر، ومعنوي، فيتشبع من خلال السّياق اللّغوي للنّص، وهو ما وضع تحت عنوان " آليات الحجاج"، ثم تأتي "الروابط الحجاجية" والتي تنوّعت ما بين روابط للتساوق، و التعارض، ثم التعليل، و يليها "العوامل الحجاجية".

1- المولود في مدينة المحرق عام 1944م في مملكة البحرين. والذي درس في كتّاب البحرين في عام 1951م. وحصل على الثانوية 1962م. وأسس دار الغد للنشر والتوزيع في البحرين عام1974م. ومجلة " كتابات" الأدبية الفصلية، ومجلة المأثورات الشعبية. وأشرف على تأسيس مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي.وأسس في البحرين لإصدار" الثقافة الشعبية"، وهي مجلة فصلية علمية متخصّصة بالتعاون مع المنظمة الدولية للفن الشعبي. وقد منح الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة سيكلونا الأمريكية عام 1989. وامتدت نتاجه الشّعريّ لأكثر من خمسين عامًا أصَدرَ خلالها الكثير من الدواوين الشّعريّة منها على سبيل المثال لا الحصر: "أنين الصواري"، و"عطش النخيل"، و"إضاءةٌ لذاكرةِ الوطن"، و"في وداع السيدة الخضراء"...وحورية العاشق موضوع الدراسة.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

فاللّغة تحمل في جوهرها مؤشرات ذاتية تدلّ على طبيعتها الحجاجية، كما نجد النّظرية تزيح الفكرة الشائعة التي تقرّ بأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية الإخبارية. وترسي مكانها فكرة جديدة بجعل الوظيفة الحجاجية وظيفة أساسية للغة.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللّغة من داخل نظرية الأفعال اللّغويّة التي وضع أسسها أو ستين وسيرل، فقام ديكرو بتطوير أفكار وأراء أوستين، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج" لأنّ نظرية أوستين واجهتها صعوبات من ضمنها عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية"[1]

وتعدُّ نظرية ديكرو من ضمن البحوث التي" تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكّمة في تسلسل الأقول وتتابعها، حيث تنطلق النظرية من الفكرة التي مفادها العبارة الشهيرة التي مضمونها:" أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التأثير"[2].

ونجد أوزفالد ديكرو يؤسّس لنظرية الحجاج اللغوي من خلال مؤلّفه المشترك مع زميله أونسكومبر وبنسخته العربية " القول والمقول"[3]، وذلك من خلال ما يوليه من اهتمام باللّغة عامة وبما تحويه من طاقات حجاجية كامنة فيها، كما نجده يصبو من خلال هذه النظرية إلى فكرة عامة مفادها أنّ اللّغة حاملة للوظيفة الحجاجية بالقوة، وأنّ الحجاج متجذّر في اللّغة ولصيق بها في كلّ مظاهرها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

و يتمثلُ مفهوم الحجاج عند ديكرو وانسكومبر في العلاقة القائمة بين سلسلة من الأقوال التي يخدم بعضها بعضها حجاجيًّا فالأقوال اللغوية في نظر ديكرو" تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدلّ على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلقًا بالسياق التداولي الخارجي"[4]

إضافة إلى ذلك نجد الباحثين يفرّقان بين عملية المحاجّة والاستدلال، فالاستدلال" أساسه ربط المتكلم آراءه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون"[5]

---

[1] -أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، المغرب: العمدة للطبع، 2006، ص 16.

[2] - المرجع نفسه، ص 16.

[3] -أوزفالد ديكرو ، القول والمقول" ترجمة بسمة بلحاج رحومة، ط1، تونس: معهد تونس للترجمة ودار محمّد علي، 1980.

[4] - شبكة الألوكة عبر الموقع الإلكتروني، www.alukah.net، جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، ص 34،

6- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب فريق البحث في البلاغة والحجاج " أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى يومنا هذا" إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص362

أمّا الحجاج فهو" عملية موجودة في الخطاب نفسه، أي لا يستند إلى أي حدث في الكون خارجي عن اللغة، فالحجاج خاصية لغوية دلالية وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام"[1]

كما أنّ تسلسل الأقوال في الحجاج يختلف عنه في الاستدلال؛ لأنّ تسلسلها في الاستدلال" ليس مؤسسًا على الأقوال نفسها؛ ولكنه مؤسّس على القضايا المتضمّنة فيها، أيّ على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم. وأمّا في الحجاج فهي مؤسّسة على بنية الأقوال اللّغويّة، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[2] .

يسعى العالمان ديكرو وأنسكومبر من خلال نظرّيتهما إلى القول بأنّ اللّغة تحوي إضافة إلى الوظيفة التواصليّة الوظيفة الحجاجية بالضرورة، وإنّ الحجاج لصيق باللّغة وملازم لها، فلا يمكن فصل طرف عن الآخر، إضافة إلى أنّ اللغة ذات توجيه حجاجي من خلال الروابط والعوامل اللسانية التي تتوفّر عليها، والتي تستغل لتوجيه الدّلالة وجهة معينة بحسب مقاصد المتكلّمين. ولعلّ هذا ممّا دفعنا إلى أن نرسم للبحث خطة ارتأينا أن تكون كالاتي:

أولاً : آلّيات الحجاج في حورية العاشق.

إنّ النّص الأدبي إضافة إلى ما يقوم به من تمثيل للعالم، و نقل متخيّله المرجعي والإحالي فإنّه يتحمّل أيضًا تبادلات لغويّة وتلفظّية ذات طبيعة حجاجية يمكن أن توجّه توجيهًا حجاجيًّا، من هنا نجد أنّ ديكرو قد أشار إلى أنواعٍ مختلفةٍ من الحجاج ، كحجاج التناقض، و حجاج التّعارض، و حجاج المفارقة، و حجاج السّبب، وحجاج النّتيجة، وحجاج النّفي، وحجاج الاستعارة.

ومن خلال ديوان "حورية العاشق" ، سنحاول رصد أهم أنواع الحجاج، وآلياته التي ارتكز عليها الشّاعر علي عبدالله خليفة في بناء قصائده الشّعريّة.

1- حجاج السّبب

يظهر هذا الحجاج بشكل جليٍّ في النُصوص الشعريّة القائمة على الترابط السّببي والمنطقي، وغالبًا ما تقوم النُّصوص الشَّعرية على هذا النُّوع من الترابط في عرض الأحداث واللقاءات والأحاديث والفراقات التي تحصل بين العاشق والمعشوق، "فنجد نوعين من الترابط: إمّا ترابط سببي ، و إمّا ترابط كرنولوجي زمني .

[1]- شكري المبخوت، المرجع السابق، ص362.

[2]- المرجع نفسه، ص352.

و في هذا النّص الشّعريّ " حديث الفضة " نلاحظ الحبيبة تقدّم لنا مجموعةً من الأسباب و الحجج التي أدّت بحبيبها إلى نتيجةٍ معينةٍ كانت متوقعة:

حَبيبَتي أَطْرَقَتْ بيَنْنَا
و امْتَدَّ صَمْتُ بَيْنَنا آسِرُ
تَمَلَّكَ اللَّيلُ حَديثي لَها
فأسْعَفَتْنِي نظرةٌ من عينِها
كأنمّا النَّرجَسُ و آفاهُ النّدى في الصَّبَاحِ
تَنَاولتُ من حُليّها قِطْعَةً
تُزيّنُ الخِنْصَرَ من فِضَّةٍ
قالتْ : تَعَالَ
هَاكَ خُذْ خَاتمًا أُحِبُّ ، سَافِرْ بهِ
و اذْكُرْ بأنّي هَاهُنا أذكُرُكْ[1].

جاءت الأحداثُ متسلسلةً مبنيّةً على مجموعةٍ من الأسباب التي جعلت الشَّاعرَ وحبيبته منسجمين (حبيبتي أطرقت، تملك الليلُ حديثي لها ، فأسعفتني نظرةٌ من عينها ، كأنّما النّرجس وفاه النّدى في الصباح ...).

ثم جاءت النتيجة مباشرة بعد مجموعة من الحجج المترابطة (علَّقْتَ قَلبي ، و الهوى أَخْضَرُ) ، ولقد باغتته بالسَّفَرِ العاجلِ، وحمّلته ما لا يحمل ، ... (باغَتَّني بالسَّفَرِ العاجِلِ، حمَّلتْني فَوقَ الذي يحتملُ القادرُ)

إنّ النتيجة التي اتّخذها الحبيب / العاشق بعد مجموعةٍ من الحجج جعلته يعود إلى حديث الفضّة أو قل خاتم الفضّة الذي أخذه من حبيبته أو هي أعطته إيّاه ليتسلى به وسافرت عنه، فقد ناداها ب (يا واحدي) و قال لها لا تعتقدي أنّ خاتم الفضة سوف يسلّيني في غيابك و سفرك عني، وأرجعها إلى أن تسأل نبض قلبه الذي تركته متيّمًا، فهو الوحيد الذي يستطيع الإجابة، ويجدها بالحقيقة المرّة والفراق وألمه الشديد ولوعته.

يا واحِدِي
لا تعتقْدهُ خاتَم الفِضَّةِ
واسَأل بِهِ
نبض الذي تَيَّمْتَهُ ، يُخْبُرُكْ[1].

[9]- ديوان حورية العاشق، ص43.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

و في قصيدة " مرايا الزَّمن الباقي " يحضر فيها كذلك حجاج السبب :

مَرَّ في الحلْمِ شَجِيًّا
صوتُهُ الآتي إلى البحرِ من الصَّحراءِ
مشحُونًا غنِيًّا
بعبيرِ الهَالِ و المِسْكِ
و نبراتِ الحَنينْ
صَوْتُهُ مَسَّ شَغَافَ القَلْبِ
حيًّا ، و تَمنَّى ، وَ رَحَلْ
تاركًا في قَفَصِ الرُّوح نُدُوبًا و شظَايَا
و بقَايَا زَهَرة عاشِقَةٍ
مَاتَتْ على نَجْمٍ أَفَلْ[2]

طرح لنا الشّاعر علي عبدالله خليفة في هذا النّص الشّعري مجموعةً من الأسباب التي جعلت الحبيب / العاشق بعدما اتّخذ قراره في اختيار رفيقته، وبالكاد تعرّف على الدنيا وغالب هوى نفسه، و ماشى ظلالاً غير ظلّه ..... فجاءت الحجج متسلسلة قادت العاشق إلى النتيجة من خلال الرابطين (الفاء) و (الواو)، وهما من أقوى الروابط الحجاجية.

الحجة الأولى : العذاب المرّ للنَّهر العظيم الذي يجري عبر آفاق الزَّمن ثم يغزوه جليد يتجمّد .

فَتَأَمَّلْ ....
في العَذَابِ المُرِّ
للنَّهر الذي يَجْري عظِيمًا
عَبْرَ آفَاق الزَّمَنْ
ثم يَغْزُوُهُ جَلِيدٌ
يَتَجَمَّدْ

الحجّة الثانية : يمضي العمرُ من دون صاحبٍ أو سكن.

كيفَ لِلعُمْرِ بِأَنْ يَمضِي
من دون رفيقٍ أو سَكَنْ[3]

---

[10]-ديوان حورية العاشق، ص44.

[11]- ديوان حورية العاشق، ص23.

[3]- ديوان حورية العاشق، ص23.

الحجّة الثالثة : بعد ما اختار العاشق معشوقهُ ، و بالكاد تعرف على الدّنيا و غالب هواه وماشى ظلالًا غير ظله.

النتيجة : خاب مسعاه مع خلّه وضيّع الوطن.

إنّ النتيجة التي اتخذها العاشق بعد مجموعةٍ من الحجج التي جعلت مسعاه يخيب مع خِلّه، فالنتيجة دليلٌ على صحّة ذلك : ضيّعتُ الوطن. و ((ضيّعتُ الوطن)) فعلٌ يحمل قوةً انجازية تمثلّت في الفعل الماضي، الغرض منه الحسرة على الماضي الجميل الذي يكمن فيه الوطن وقد ضيّعه العاشق. فهو حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة من قبيل، أنّني لم أنجح مع من اخترته رفيقًا لدربي (إنّني من بعدما اخترت رفيقي) جملة اِسمية من العاشق وهي حجّة تقود إلى نتيجة ضمنيّة من قبيل : الفشل في الاختيار أدّى إلى ضياع الوطن. يقول:

إنّني منْ بَعْد ما اخترتُ رفيقي
ثُمَّ بالكَادِ تَعَرَّفْتُ على الدنيا
و غالبتُ هوى النَّفسِ
و ما شَيْتُ ظِلالاً غيرَ ظِلّي
خابَ مَسْعايَ مع الخِلّ
و ضيَّعتُ الوطن[1]

2- حجاج النتيجة

إنّ هذا النوع من آليّات الحجاج يستنتج من خلال السّياق اللغوي، فهو مضمرٌ ومعنويٌّ ، و يكون خاليًّا من الروابط و العوامل التي قد تعيننا في استنباطه، و يتمّ استكشافه عبر تحليل الملفوظات اللسانية و تأويلها ضمن سياقها التلفّظي الداخلي أو الخارجي .

و قد بُنيت الكثير من النّصوص الشّعرية في "حورية العاشق" على الحجّة و النتيجة اللّتانِ تستنتجان ضمنيًّا عبر السّياق ، ففي النّص الشّعري السّابع عشر " القطا و بركان الرَّصاص " نجد القصيدة مبنية على حوار طويل نوعًا ما بين القطا، وبركان الرصاص :

يقول:

تأمَّلتُ كيف الأيائل[2] تنجو ؟! و كيف القطا

---

[1]-ديوان حورية العاشق، ص23.

14- " الأيِّل والأيَّل والأيَّل، جمعها أيائل و هو حَيَوَانٌ مِنْ ذوات الظلف . للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها؛ أمّا الإناث فلا قرون لها"؛ المنجد في اللّغة والأعلام، ط43، بيروت: دار المشرق،2008،ص22

يُخطُّ ... يطيرُ، و يدري بأنّ الفخاخ
و أنّ الرصَاصَ لهُ في الطَّريق ؟![1]
الحجة : القطا يخُطُّ و يطيرُ
النتيجة : أنّه يدري بأنّ الفخاخ و أنّ الرصاص قد زُرِعَا له في الطريق.

إنّ النتيجة تحيل ضمنيًا إلى أنّ القطا (و هو طائر معروف، و نوع من أنواع اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، و يطير جماعات، و يقطع مسافات شاسعة؛ و سمي بذلك لثقل مشيته).

و لأنّه يحطُ تارةً ويطير تارةً أخرى؛ و لأنّ مشيته ثقيلة، فهو عُرْضَةٌ للوقوع في الفخاخ المنصوبة لصيده، أو لوابلٍ من الرّصاص الموجه إليه؛ لأنّه يطير على شكل جماعات كما أسلفنا . وتمثل هذه القصيدة بنصّها الشّعري الرائع رسالةً بليغة قوامها (من لم يَمُتْ بالسيف مات بغيره. تعدَّدت الأسباب و الموت واحد). وقد تحيلنا الرسالة تلك أيضًا إلى أنّ الإنسان يعيش طويلًا، ويسافر، ويذهب ويأتي، فلا بدّ من أن تصيبه فخاخ الموت أو رصاصة المنيّة (الفناء). و يمكن أن نفهم كذلك المعاني الضمنية التي يمكن أن نستشفّها من هذا النّص الشّعري و الدّلالات العميقة.

و في النّص الشّعري الخامس عشر (عاديات الليل) من (حورية العاشق)، والذي يتكون من حجة و نتيجة :

يقول:
آه، ما أطولَ مَسْرانا
و ما أقسى ظلامًا
تُشرِقُ الشمسُ، و لا يَبْرَحُ دومًا
جاثمًا ، مِلءَ السّريرة ،
إنّه ، الهمُّ إذا طَالَ ، و هذي
عادياتُ الليل و الخيلُ المغيرةْ
أيّ نَجمٍ راعشٍ ماتَ
و كُنَّا نَقبِسُ النّور شظَايا
من ثوانيهِ الأخيرَةْ ؟!
أسرجي الخيلَ المُعَافَاة ، استَنِيري
قبسَ القلبِ ، هلُمِّي ،

[1]- ديوان حورية العاشق، ص91.

نطرقُ الموصَدَ ، وجْهَ الرّيحِ
يا ما أحوجَ الإنسانَ في العَتْمِ
لقنديلِ البصيرَةْ[1].

لقد اعتمد علي عبدالله خليفة في هذا النّص الشّعري على التّناص القرآني ليدعم نصّه بحجة قوية تجعل المتلقي يقتنع و يذعن لما جاء من نتيجة في هذا النص.

فعبارة (عاديات الليل و الخيل المغيرة) تحيلنا إلى سورة ((العاديات)) و هي السورة رقم (100) في ترتيب المصحف الشريف، وعدد آياتها (11) آية و قوله تعالى : (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحًا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرنا به نقعا ..)) والعاديات : الخيل الجارية المسرعة للجهاد و التي لها صهيل لسرعة جريها، وهي خيلٌ تَعدُّ نحو العدو، و لكن الشاعر استبدلها بعاديات الليل بمعنى الخيل التي تَعدُّ ليلاً أو نحو الليل المظلم .

ولكنه قال (و عاديات الليل) ، وجاء بشرح العبارة القرآنية (و المغيرات صبحا) وهو (المغيرات : الخيل المغيرة على العدو) .

3- حجاج النّفي

يُبني هذا النّوع من الحجاج على مجموعة من روابط النّفي من مثل : ليس، لا، لم، ... و قد يُستنتج النفي ضمنيًّا من خلال النّصوص الشّعريّة دون الارتباط على روابط النّفي ، لما يتقابل حجاج النّفي مع حجاج الاثبات على مستوى القضية المنطقيّة.

وفي قصيدة (عند المفترق) يحضر حجاج الاثبات بإن التوكيديّة و في إصدارات الشّاعر علي عبدالله خليفة على أن ما يحويه قلبه لا يمكن للأيام أن تسطو عليه، والنّص الشّعري يتأرجح بين ثنائية، الرّحيل، والبناء :

يقول:

إنَّ ما يَحْويهِ هذا القَلْبُ
لا يُمكنُ للأيَّام أَنْ تَسْطو فتُدْريهِ
و في الرُّوح بقَايَا لارْتعاشَاتِ وَتَرْ
إنَّهُ شيْءٌ ، مِنَ النَّبْضِ إلى النَّبْضِ ،
رَهيفُ الحَدّ مَوصُولُ الضيَاءْ
لا أُسمِّي ذلكَ الشَّيءَ
و لا أعرفُ وصفًا قد يُدانِي ،

[1]- ديوان حورية العاشق، ص83.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

رَاوَدَتْني وَرْدَةُ المعْنى ، و كادَتْ
غَيْرَ أنَّ الكَلِماتْ
لم تُساعِفْني ، و همَّت بي بُروقٌ و رُعُودْ
ذلك المشْدُوَدُ بالنّبضِ تَعَنَّي
كلما أحسستُ غَدْرًا ، و تهيأتُ وحِيدًا
أعزَلَ القلبِ ، لمقْتَلْ
.....
و الليالي كيفَ ما شَاءَتْ سَتَمْضي
تَتَبدَّلْ
و الزمانُ المرُّ يَسْقِينا
و يرحلْ
ثم يبقى، أبد الدَّهرِ، الذي أقْوى و أجْمل[1] .

جاءت الحجة الثالثة الأقرب إلى النتيجة في ترتيب السلَم الحجاجي، وهذا لارتباطها بالرابط الحجاجي (الواو) الذي يقوم بالربط بين مجموعة من الحجج لتقوية النتيجة المطروحة في دعمها، وقد أعطى الملفوظ درجة عالية في السلم الحجاجي[2].

و حضر في نهاية القصيدة حجاج التعليل ، عن طريق الرابط (الواحد)

نتيجة ن = الرّحيل

حجّة ح1 - الليالي ستمضي ... تتبدّل

حجّة ح2 - الزمان المرُّ يسقيه ... و يرحل

حجّة ح3 - إنَ الذي يبقى – أبد الدهر – هو الذي أقوى و أجمل

والحجة الثالثة هي الأقرب إلى النتيجة في ترتيب السلم الحجاجي، وهذا الارتباط ، بالرابط بين الحجاجيين (الواو + ثم) اللذان يقومان بالربط بين مجموعة من الحجج لتقوية النتيجة المطروحة و دعمها، و قد أعطى الملفوظ درجة عالية في السِلم الحجاجي.

فعندما أحسّ العاشق بالعذر من معشوقه، تهيأ وحيدًا، و قام بعزل القلب استعدادًا للقتل، ذلك أنّه القلب الذي حمل النبض رهيف الحد موصول الضياء، فالليالي ستمضي،

[1]- ديوان حورية العاشق، ص ص31-34.

[2]-عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، علاء الدين للنشر و التوزيع، 2011، ص 154.

وتتبدل، والزمان يأتي و يرحل. ثم يبين العاشق في نهاية المطاف أنّ الحبَّ الحقيقي هو الذي يصمد في النهاية، و يبقى أبد الدهر؛ لأنّه الأجمل و الأقوى.

4- حجاج المفارقة

ينبني حجاج المفارقة على تناقض القضايا المنطقية إيجابًا و سلبًا، وهو معطى لغوي تتحكم فيه التضادات الثنائية، كما أنّها تقنية قصصية لانهاية لها سوى الخروج عن السّرد المباشر، و هذا الخروج يعمل على : إثارة المتلقّي و تشويقه تورّط المتلقي في اكتشاف قول شيء، وهي تقصد عنه الإضحاك الذي يتولّد عن التوتر الحاد و ليس عن الكوميديا[1].

ويحضر حجاج المفارقة في قصيدة (أرنبة البياض) في آخر فقرة، وفي آخر قصائد الديوان نجد تناقضًا بين الحياة والموت :

تحاولُ حفظ التّوازن
يبدو التّوازُن أمرًا دقيقًا
مجرّد خيطٍ رفيعٍ
يفرّقُ بين النّجاةِ و بين الهلاك
فأيُّ مصيرٍ تقاذف هذي الحياة
و أيُّ حياة تُراها تكون
و أيُّ هلاكٍ تراهُ يكون
بِوَسْط الدَّنَسْ ؟[2]

ويصوّر لنا حجاج المفارقة في هذه القصة شدّة التناقض والصراع الداخلي في نفسيّة هذه الشّخصيّة، فهي تتأجرح بين نقيضين: عشقها للحياة وتمنيّها للموت وتحاول حفظ التّوازن بين النجاة وبين الهلاك؛ لأنّ العاشق أحبَّ الحياة و عشقها ، .....

5- حجاجية الاستعارة

اليوم لم تعد الاستعارة محصورةً في كونها صورةً من صور البيان بل أضحت تمثّل جانبًا مُهمًا من الأسس اللّغويّة، وتحتل منزلةً عظيمةً في الدّراسات اللّغوية لتصدّرها بنية الكلام الإنساني، و هي خاصيّةٌ من خصائص الحجاج الذي لا ينفكّ عنها نظرًا لما تملكه من خصائص تخييلية تبعث في المتلقي تساؤلات كثيرة تكشف عن العلاقات الموجودة بين أطرافها حتى تصل به إلى النتيجة التي يريدها صاحب الخطاب، والشاخصة إلى توجيه خطابه، وبلوغ غاياته،

19- جاسم خلف الياس، شعرية القصة القصيدة جداً ، دار نينوى دمشق ، 2010 ، ص153-154.

[2]- ان حورية العاشق، ص129-130.

وتحقيق مقاصده الحجاجية، إضافة إلى إعتمادها بشكلٍ كبير على اللّغة،" فاللّغة الأدبية هي لغةٌ استعارية في المقام الأوّل "[1].

و إلى جانب أنّ الأقوال الاستعارية أقوى حجاجيًا وأعلى مرتبةً من الأقوال العادية؛ لذلك قال أبو بكر العزاوي:" إنّ القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قُورن بالأقوال العادية"[2] وهذا ما يجعل الاستعارة وثيقة الصلة بالسُّلم الحجاجي الذي تتعدّد فيه المراتب تبعًا لتعدّد الاستعارات التي لا تعتمد على ألفاظ تُساير الحقيقة بقدر ما يكون المجاز عنصرًا فعالًا وبارزًا فيها. فترى المتكلّم يوظف الاستعارة حجاجيًا و يعتمدها بشكل كبير في خطاباته لتكون الدليل الأقوى والحجة المثلى على صحّة ما يقول بحيث تكون الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللّغويّة حجاجيًّا " و تكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السّياق، إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية ".[3]

لذلك نجد أنّ المخاطِب كثيرًا ما يعمد إلى اعتمادها كوسيلة لا غنى عنها لتقويم خطابه؛ لأنّها :" تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النّوع الأكثر انتشارًا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية و التواصلية ".[4]

و من أمثلة الاستعارة الحجاجية في ديوان "حورية العاشق" ، والتي وظّفت توظيفًا إقناعيًّا تأثيريًّا و تواصليًّا، نجد النّص الشّعري الخامس" عند المفترق" كلّه مجازات استعارية؛ بيد أنّنا سنأخذ واحدةً على سبيل المثال لا الحصر وهي قوله:

" رَاوَدَتْني وَرْدَةُ المعْنى، وكادَتْ
غَيْرَ أَنَّ الكَلِماتْ
لَمْ تُساعِفْني، وَهَمَّتْ بي بُروقٌ ورُعُودْ"[5].

---

[21]-سيمينو ، الاستعارة في الخطاب ، ترجمة : عماد عبد اللطيف ، خالد توفيق ، المركز القومي للترجمة القاهرة ط1، 2013، ص 33 .

[2]-أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ط1، المغرب: الأحمدية للنشر، 2007م، ص46.

23-مجموعة مؤلفين، الحجاج مفهومه و مجالاته: دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة ، ج1 ، إشراف : حافظ إسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص ص 297-298.

24-أبو بكر العزاوي ، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، العدد 4، السنة الثانية، ماي 1991، ص 78 – 84 نقلاً عن عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص228 .

[5]- ديوان حورية العاشق، ص31.

ففي هذه الأسطر الشعرية استعارة مركّبة،" رَاوَدَتْني وَرْدَةُ المعْنى" وهي ليست الوحيدة في هذا الديوان.

الأولى: "رَاوَدَتْني" .

والثانية: "وَرْدَةُ المعْنى".

وتشير الاستعارة الأولى إلى عالم التّشخيص، فقد جعل الشاعر وردة المعنى تراوده مراودة المرأة الحسناء لحبيبها، وهي إحالة إلى النّص القرآني في قصة يوسف عليه السلام والسيدة زليخة زوجة العزيز في قوله تعالى:" **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**"[1].

وهي استعارة وفي بطن هذه الاستعارة تكمن استعارة أخرى هي"وَرْدَةُ المعْنى"، وهي استعارة مكنيّة ، ويتجسّد فيها عالم التّجسيم فقد جسّم الشّاعر علي عبدالله خليفة المعنى في الوردة الجميلة. فكأنّ أصل الاستعارة " تشبيه المعنى بالشجرة التي أثمرت وردة"، وقد يكون حجاج الاستعارة هذا هو التفات في الصورة- إن صحّ إطلاق هذا المصطلح على الصورة- كما هو الشأن في اللّغة فالالتفات يكون فيها عبر تحوّلات الضمائر. كذلك هنا التفات عبر نقل الصورة من حالتها الحسية إلى حالتها المعنوية فراودته تحيل على حادثةٍ واقعيةٍ مادية، وهي مراودة امرأة العزيز ليوسف الصديق وهي مراودة مادية، ولكنها من خلال الإضافة لوردة المعنى ينتقل الشاعر بالصورة من كونها حسيةً إلى معنوية ليحدث الإغراء والاستغواء والتأثير والإمتاع والاقناع بجمالية المراودة في المعنى، فكلّ ما في الوردة الحسية من رقة ونعومة وجمال وعطر فوّاح ومنظر جميل ينتقل إلى المعنى الذي يريده عبر الاستدراج بالاستعارة في خطابه الشعري ليصل إلى تحقيق مقاصده الحجاجية، ف" النظرية الحجاجية تعوّل على البلاغة، وترى فيها طاقات عظيمة إلى حدّ اعتبارها حجاجًا في حدّ ذاتها، حتى أنّه يمكن القول؛ أنّ وراء كلّ حجاج بلاغة والعكس صحيح، لأنّ مدار ذلك هو الإغراء والاسغواء قصد الإمتاع والإقناع"[2].

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث رصد أهّم أنواع الحجج وآليّاته التي ارتكز عليها الشاعر على عبدالله خليفة في بناء قصائده في ديوانه " حورية العاشق" وخرجنا بمجموعة من الاستنتاجات نجملها في الآتي:

---

[1]-سورة يوسف، الآية23.

27-الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي" عناصر استقصاء نظري" ضمن كتاب " الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيل علوي، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، ج3، 2010م، ص 45.

1- ظهر حجاج السّبب بشكل جليً في النّصوص القائمة على التّرابط السّببي والمنطقي، و غالبًا ما تقوم النّصوص الشّعرية على هذا النوع من الترابط في عرض أحداث اللقاءات، والأحاديث والفراقات بين العاشق و المعشوق، وهو على نوعين: ترابط سببي، و ترابط كرنولوجي زمني. كما في قصيدة " حديث الفضة" و" مرايا الزمن الباقي" .

2- بُنيت الكثير من النُّصوص الشِّعرية في "حورية العاشق" على حجاج النتيجة، وهو حجاج يُستنتج من خلال السّياق اللغوي، وهو مضمرٌ و معنويٌّ، ويكون خاليًا من الروابط و العوامل التي قد تعيننا في استنباطه، و يتم استكشافه عبر تحليل الملفوظات اللّسانية و تأويلها ضمن سياقها التلفّظي الداخلي أو الخارجي، كما في النص الشعري السابع عشر " القطا و بركان الرصاص".

3- اعتمد عليّ عبدالله خليفة في نصوصه الشِّعرية على التناص القرآني ليدعم نصه بحججٍ قوّيةٍ تجعل المتلقي يقنع ويذعن لما جاء من نتيجة.

4- لقد بُني حجاج النّفي على مجموعة من روابط النفي، وقد تكون ظاهرة، أو مضمرة تُستنتج من خلال النّصوص الشّعرية دون الارتباط بروابط النّفي، لما يتقابل حجاج النّفي مع حجاج الاثبات على مستوى القضية المنطقية كما في النّص الخامس من ديوان حورية" حورية العاشق" في قصيدة " عند المفترق " يحضر حجاج الاثبات بأنّ التّوكيديّة.

5- يصوّر لنا حجاج المفارقة في هذه النّصوص الشّعرية شدّة التناقض و الصراع الداخلي في نفسيّة هذه الشّخصيات ، فهي تتأجرح بين نقيضين في جلّ القصائد التي جاءت في هذا الدّيوان كما في قصيدة " أرنبة البياض" تناقض بين الحياة والموت.

6- إنّ حجاج الاستعارة هذا هو التفات في الصّورة- إن صحّ إطلاق هذا المصطلح على الصورة- كما هو الشأن في اللّغة. فالالتفات يكون فيها عبر تحوّلات الضمائر. وكذلك هنا التفات عبر نقل الصورة من حالتها الحسية إلى حالتها المعنوية - كما أوضحناه في البحث- ليحدث الإغراء والاستغواء والتأثير والإمتاع والإقناع بجمالية الانتقال إلى المعنى الذي يريده عبر الاستدراج بالاستعارة في خطابه الشعري ليصل إلى تحقيق مقاصده الحجاجية.

7- إنّ الاستعارة في هذا الديوان قد كشفت عن حجاجيّتها فلم يعدّ دورها مرتبطًا بالزخرفة اللفظية التي تهدف إلى إمتاع العاطفة وحسب، وإنّما هو انتقال إلى تحقيق الإقناع العقلي، وقد اعتمدت الاستعارة على قوة السياق. فالكلمات التي تدخل في بناء الاستعارة معنىً جديدًا في ضوء فاعلية الإبداع اللغوي يكون السياق هو ما يوسّع مدلول الكلمات الأصلّية في النّص الشّعري ويحدث تغييرًا جوهريًّا فيها، وما على المتلقي اليوم إذا ما أراد أن يدرك فاعلية الاستعارة إلا أن يوجّه اهتمامه إلى الموقف الجديد في الاستعارة الحجاجية .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

- علي عبدالله خليفة، حورية العاشق، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2000 .

ثانيًا: المراجع

- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ط1، المغرب: الأحمدية للنشر، 2007م.

-أبو بكر العزاوي ، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، العدد 4، السنة الثانية، ماي 1991.

- أوزفالد ديكرو، القول والمقول" ترجمة بسمة بلحاج رحومة، ط1، تونس: معهد تونس للترجمة ودار محمّد علي، 1980.

-الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي" عناصر استقصاء نظري" ضمن كتاب " الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيل علوي، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، ج3، 2010م.

- جاسم خلف الياس، شعرية القصة القصيدة جدًا ، دمشق: دار نينوى ، 2010 .

- سيمينو ، الاستعارة في الخطاب ، ط1، ترجمة : عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013.

- جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، ص 34، www.alukah.net- شبكة الألوكة عبر الموقع الإلكتروني.

- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب فريق البحث في البلاغة والحجاج " أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى يومنا هذا" إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية،ط1، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

- عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللّغة العربية ، علاء الدين للنشر و التوزيع ، 2011.

- مجموعة مؤلفين، الحجاج مفهومه و مجالاته: دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة ، ج1 ، إشراف : حافظ إسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

- المنجد في اللّغة والأعلام، ط43، بيروت: دار المشرق، 2000.